

المصنف رحمه الله تعالى: تم تفسير هذه السورة بحمد الله تعالى يوم الأربعاء السابع من شعبان ختم بالخير والرضوان، سنة إحدى وستمائة، وقد كنت ضيق الصدر جدا بسبب وفاة الولد الصالح محمد، تغمده الله بالرحمة والغفران، وخصه بدرجات الفضل والاحسان، وأنا أوصي من طالع كتابي هذا واستفاد ما فيه من الفوائد النفيسة العالية أن يخص ولدي ويخصني بقراءة الفاتحة، ويدعو لمن مات في غربة بعيدا عن الاخوان والأب والأم بالرحمة والمغفرة، فإنني كنت أيضا كثير الدعاء لمن فعل ذلك في حقي.

نقلنا هذا الكلام من الكتاب بنصه، ليدرك القراء مدى التأثير العميق الذي كان الرجل قد بلغه، ومدى اللوعة التي كان يحس بها على فقد هذا الابن البار، وهو مع ذلك يجلس - لا أقول على مكتبه تحت مصباحه الكهربائي، وفي يده قلمه السيل، ولكن أقول - على "حصيرته" الخشنة، وأمامه مسند من الخشب، وسراج يتخافت نوره، وفي يده قلم من القصب تمده محبرة غاص مدادها وحال لونه، وه. مع ذلك يكتب تفسيره، ويفكر في استنباط المعاني الرائعة من كتاب الله، ولا يشغله همه الممض بوفاة "ولده الصالح محمد" غريبا عن اخوانه وأمه وأبيه، لا يشغله ذلك عن عمله الذي يسره الله له! فأى عزم هذا وأى ثبات؟ ألا إن هذا لمثل رائع من رب ط الله على قلوب المؤمنين العالمين، وقد ذكرنا ذلك بكلمة عن ابن رشد يقول فيها: "إنني لم أنقطع عن مذاكرة العلم منذ عقلت إلا ليلتين: ليلة مات أبي، وليلة تزوجت"، وقل مثل هذا عن ابن منظور المصري الذي ألف كتابه المحيط الجامع المانع "لسان العرب" وأودعه جميع ما في لغة العرب وموادها، وعنى عناية خاصة بألفظ القرآن الكريم، والحديث النبوي الشريف، والشواهد الفصيحة، فوقع كتابه في عشرين جزءا هي الذخيرة في المكتبات القيمة التي يهنأ صاحبها يحوزها.

وغير هؤلاء من المؤلفين الذين ربط الله على قلوبهم وحبب إليهم العلم كثير كثير، وقد أفادت الإنسانية في حاضرها وماضيها من هؤلاء الأفاضل وأمثالهم فوائد لا تقل في قدرها وقيمتها عما أفادته من المخترعين الذين يعيش الواحد منهم في